الباب التاسع

في

الولاء والبراء

(أ) معنى الولاء والبراء وأهميته

الولاية: هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فموالاة الكفار تعني التقرب إليهم، وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا.

والبراء: هو البعد والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد[1].

وقد أوجب الله - ﷻ - علينا موالاة المؤمنين، أي: محبتهم ونصرتهم، كما أوجب علينا البراءة من المشركين، أي بغضهم وعداوتهم.

وليس في كتاب الله ﷻ - بعد التوحيد ونبذ الشرك - حكم عليه من الأدلة أكثر من هذا الحكم.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

فيقول - ﷻ - منكرًا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾، ثم أخبر أن العِزةَ كلها له وحده لا شريك له، والمقصود التهييج على طلب العزة من جانب الله تعالى، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين، الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

(١) باختصار وتصرف من «الولاء والبراء في الإسلام» لمحمد سعيد القحطاني [٩٠] الطبعة الثالثة.

فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ومن يوال الكافرين ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فقد برئ من الله وبرئ الله منه، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، حفظًا للإسلام والتوحيد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

فَرتَّب الله - ﷻ - على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب، وأخبر أن ذلك لا يحصل إلا ممن ليس بمؤمن، وأما أهل الإيمان فإنهم لا يوالونهم.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

فنهى - سبحانه وتعالى - المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى، وذكر أن من تولاهم فهو منهم، أي: من تولى اليهود فهو يهودي، ومن تولى النصارى فهو نصراني.

وقد روى ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قال: قال عبد الله بن عتبة: ليتق أحدكم أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر، قال: فظننا يريد هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية، وكذلك من تولى المشرك فهو مشرك، لا فرق بين أهل الكتابين وغيرهم من الكفار.

ثم أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض؛ أي: شك في الدين وشبهة، يسارعون في الكفر قائلين: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين قالوا: نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل، فيتسلطوا علينا فيأخذوا أموالنا ويشردونا من

بلادنا، وهذا هو ظنُّ السوء بالله ﷻ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ وعسى من الله واجب، والحمد لله الذي أتى بالفتح فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا في أنفسهم نادمين.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣].

فنهى - سبحانه وتعالى - المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه اللذين هما أقرب الناس إليه، إذا كان دينهما غير الإيمان، وبين أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كانا كافرين فهو ظالم، فكيف من يتولى الكافرين الذين هم أعداء له، ولآبائه ولدينه، أفلا يكون هذا ظلمًا؟ بلى، والله إنه لمن أظلم الظالمين.

ونزلت هذه السورة العظيمة: سورة الممتحنة، وفيها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ١-٤] ثم قال ﷻ في خاتمة السورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وقد ثبت في الصحاح أن هذه السورة نزلت في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم عام الفتح، فأنزل الله ﷻ هذه الآيات، وأخبر نبيه ﷺ بخبر الكتاب.

وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في إثر المرأة التي ذهبت بالكتاب، فوجده في عقيصة رأسها، فجاء الرجل إلى رسول الله ﷺ يعتذر ويحلف أنه ما شك، ولكنه ليس له من يحمي مَن وراءه من أهل مكة، وأنه أراد بهذا يَدًا عند قريش، واستأذن عمر بن الخطاب في قتله فقال النبي ﷺ: «**وما يُدْريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١).

فهذه السورة الكريمة مع سبب نزولها من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم.

عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على أن «**تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر**»(٢).

وروى ابن أبي شيبة بسنده عنه ﷺ قال: «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحُبُّ فِي الله، وَالْبُغْضُ فِي الله**»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله - ﷻ - بذلك، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا».

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٠٤، ٣٠٥) المغازي، ومسلم (١٦/ ٥٥، ٥٦) فضائل الصحابة، وأبو داود [٤٦٢٨]، والدارمي (٢/ ٣١٣)، وابن أبي شيبة [١٢٣٩٦].

(٢) رواه البخاري (١/ ١٦٦) الإيمان، ومسلم رقم [٥٦] الإيمان، وأبو داود [٤٩٢٤ عون] الأدب، والنسائي (٧/ ١٥٢) البيعة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة [١٠٤٦٩] الإيمان والرؤيا.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: قوله: «ووالى في الله» هذا بيان للازم المحبة في الله، وهو الموالاة، فيه إشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب، بل لابد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب، وهي النصرة والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوب باطنًا وظاهرًا.

وقوله: «وعادى في الله» هذا بيان للازم البغض في الله، وهو المعاداة فيه؛ أي: إظهار العداوة بالفعل، كالجهاد لأعداء الله، والبراءة منهم، والبعد عنهم باطنًا وظاهرًا إشارة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب، بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[1] [الممتحنة: ٤].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه لا يستقيم للإنسان إسلام - ولو وحد الله وترك الشرك - إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ...﴾[2] [المجادلة: ٢٢].

(ب) صور من موالاة الكفار؛ منها ما هو كفر أكفر مخرج من الملة ومنها ما هو من قبيل المعاصي[3]

١- الرضا بكفر الكافرين، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذاهبهم الكافرة، وهذا لا يحتاج إلى دليل؛ فالرضا بالكفر كفر أكبر.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» [٤٢٢]، ط. إدارة البحوث العلمية بالرياض.

(٢) «مجموعة التوحيد» صـ[١٩] ستة مواضع من السيرة، ط. دار الفكر.

(٣) هذا الفصل بتصرف واختصار من «الولاء والبراء في الإسلام» للقحطاني (٢٣١-٢٤٧).

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠].

٢- اتخاذهم أعوانًا وأنصارًا وأولياء، أو الدخول في دينهم.

قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ... ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير في تفسيرها: من اتخذ الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيءٍ، أي: قد برئ من الله وبرئ الله منه؛ بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾، أي: إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافونهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر[1].

وقال ابن حزم: صح أن قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١] إنما هو على ظاهره؛ بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أخبر الله في هذه الآية أن متولهم هو منهم، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٨١].

٣- الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١].

٤- مودة الكافرين ومحبتهم، وقد نهى الله - عز وجل - عنها بقوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١].

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٨).

٥- الركون إليهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

قال القرطبي: الركون حقيقته الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به[(١)].

٦- مداهنتهم ومجاملتهم على حساب الدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم: ٩].

٧- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وبطانة الرجل: خاصته، تشبيهًا ببطانة الثوب التي تلي بطنه، لأنهم يستبطنون أمره، ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم، وقد بين الله العلة في النهي عن مباطنتهم فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد، ثم إنهم يودون ما يشق عليكم من الضرر والهلاك.

والعداوة التي ظهرت منهم شتم المسلمين، والوقيعة فيهم، وقيل: باطلاع المشركين على أسرار المسلمين، وفي سنن أبي داود قوله ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[(٢)].

٨- طاعتهم فيما يأمرون به، قال تعالى ناهيًا عن ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٩/ ١٠٨).

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٤٠٩)، و«ابن كثير» (٢/ ٨٩)، والحديث سيأتي تخريجه في الباب المقبل.

قال ابن كثير في تفسيرها: حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١][(١)].

٩- مجالستهم والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٠].

١٠- توليتهم أمرًا من أمور المسلمين كالإمارة، والكتابة، وغيرها، فتوليتهم نوع من توليهم، والولاية إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبدًا، والولاية صلة، فلا تجامع معاداة الكافر.

١١- استئمانهم وقد خوَّنهم الله، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

١٢- التشبه بهم والتزيي بزيهم.

١٣- البشاشة لهم، والطلاقة، وانشراح الصدر لهم، وتقريبهم.

١٤- معاونتهم على ظلمهم، ونصرتهم، فقد ضرب القرآن مثلًا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط، حيث كانتا متعاونتين مع الكافرين راضيتين بكفرهم.

١٥- مناصحتهم والثناء عليهم، ونشر فضائلهم، ووصفهم بالتقدم والحضارة والرقي، ووسم الإسلام بالرجعية والجمود والتأخر.

١٦- تعظيمهم والثناء عليهم، وإطلاق الألقاب الحسنة عليهم، كالسادة والحكماء.

١٧- السكنى معهم في ديارهم، وتكثير سوادهم، قال رسول الله ﷺ: **«من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»**[(٢)].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٢٢).

(٢) رواه أبو داود [٢٧٧٠ عون] الجهاد، والترمذي [١٦٠٥] السير، وله شاهد صحيح الإسناد بلفظ: «أنا بريء من كل مسلم يعيش بين ظهرانيّ المشركين»، وقال العلقمي في «الكوكب المنير»:

١٨- التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والدخول في أحلافهم وتنظيماتهم، والتجسس من أجلهم.

١٩- الهروب من دار الإسلام إلى دار الحرب، بُغْضًا للمسلمين، وحُبًا للكافرين.

٢٠- الانخراط في الأحزاب العلمانية، أو الإلحادية؛ كالشيوعية، والاشتراكية والقومية، وبذل الولاء والحب والنصرة لها.

(جـ) مواقف إيمانية في الولاء والبراء

١- موقف إبراهيم إمام الحنفاء وأبي الأنبياء - صلى الله على نبينا وعليه وسلم - وبراءته من الشرك والمشركين:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تصح الموالاة إلا بالمعاداة، كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]؛ فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء إلا بالبراءة من كل معبود سواه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

أي: جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقيةً يتوارثها الأنبياء وأتباعهم، بعضهم عن بعض، وهي كلمة: لا إله إلا الله، وهي التي وَرّثَها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة(١).

واستحق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجعله الله - عَزَّ وَجَلَّ - أُسوة في موالاة الله عَزَّ وَجَلَّ والبراءة من الشرك والمشركين، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ

=«حديث سمرة إسناده حسن، وفيه وجوب الهجرة على من قدر عليها ولم يقدر على إظهار الدين، أسيرًا كان أو حربيًا؛ فإن المسلم مقهور مهان بينهم، وإن انكفوا عنه؛ فإنه لا يأمن بعد ذلك أن يؤذوه أو يفتنوه عن دينه، وحق على المسلم أن يكون مستظهرًا بأهل دينه» عون المعبود (٧/ ٤٧٩).

(١) «الجواب الكافي» (٣٠٠-٣٠١) ط. ابن الجوزي.

إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

فجعله الله ﷻ قدوة للمؤمنين، إلا في قوله لأبيه: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ وبلغ من براءته من الشرك والمشركين أنه فارقهم ببدنه، كما خالفهم بعقيدته وقلبه فقال: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤٨-٤٩].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى ﴾ أي: أجتنبكم، وأتبرأ منكم، ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله ﴿ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى ﴾ أي: وأعبد ربي وحده لا شريك له ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ وعسى هذه موجبة لا محالة، فإنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سيد الأنبياء بعد محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول تعالى: فلما اعتزل الخليل أباه وقومه في الله، أبدله الله من هو خيرٌ منه، ووهب له إسحاق ويعقوب يعني ابنه وابن إسحاق كما في الآية الأخرى ﴿ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾[1] [الأنبياء: ٧٢].

وفي الآية الكريمة بركة البراءة من المشركين، والفرار بالدين، فعوَّضه الله ﷻ بدلًا من هذه الخلطة السيئة ولده إسحاق، وولد ولده يعقوب، وأنعم الله عليهما كذلك بالنبوة، وإنما يخاطب بهذه الآية الكريمة، وآية الكهف في قصة أصحاب الكهف الذين يظلمون أنفسهم بالحياة في ديار المشركين، فلا تكاد تقع أعينهم إلا على الكفر والإباحية والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٧-٩٩].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٢٣-١٢٤).

٢- موقف الفتية في قصة أصحاب الكهف وبراءتهم من الآلهة الباطلة وعابديها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٣-١٦].

قال الخطابي: وكانوا قومًا كرهوا المقام بين ظهراني أهل الباطل، ففروا من فتنة الكفر وعبادة الأوثان، فصرف الله تعالى عنهم شرَّهم، ودفع عنهم بأسَهم، ورفع في الصالحين ذكرَهم(١).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم ربهم هدى، قالوا: إن ربهم هو رب السموات والأرض، وأنهم لن يدعوا من دونه إلهًا، وأنهم لو فعلوا ذلك قالوا شططًا، أي: قولًا ذا شطط(٢).

وقال الرازي: اعلم أن المراد أنه قال بعضهم لبعض: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ واعتزلتم الشيء الذي يعبدونه إلا الله، فإنكم لم تعتزلوا عبادة الله ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ ومعناه: اذهبوا إليه واجعلوه مأواكم ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ أي: يبسطها عليكم ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ من الارتفاق(٣).

٣- أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وولاؤه لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن عائشة قالت: لما اجتمع أصحاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانوا ثمانية وثلاثون رجلًا، ألح أبو بكر على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الظهور، فقال:

---

(١) «العزلة» للخطابي [١٦]، ط. مكتبة الزهراء.

(٢) «أضواء البيان» (٤/ ٢٩-٣٠).

(٣) «التفسير الكبير» (٢١/ ٨٤) باختصار.

«**يا أبا بكر! إنَّا قليل**» فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في الناس خطيبًا ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله ﷺ.

وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووطئ أبو بكر وضرب ضربًا شديدًا، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاء بنو تيم يتعادون، فأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكرٍ في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، ثم رجعت بني تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة.

فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئًا، أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله؛ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك؟ قالت: نعم.

فمضت معها، حتى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا، فدنت أم جميل، وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم، قال: فإن لله عَلَيَّ ألا أذوق طعامًا ولا أشرب شرابًا أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجلُ، وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله

ﷺ، قال: فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبله، وأكبَّ عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّة شديدة(١).

٤- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وولاؤه لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ وبراءته من أمِّه التي حاولت أن تصده عن دينه:

قال البغوي: إن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت :٨] وآية [لقمان:١٥] نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وأمه حمنة بنت أبي سفيان، فقد كان سعد من السابقين الأولين للإسلام، وكان بَارًا بأُمِّهِ قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت؟! والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتُعير بذلك أبد الدَّهْرِ، يقال: يا قاتل أُمِّهِ!

ثم إنها مكثت يومًا وليلة لم تأكل ولم تشرب، ولم تستظل، فأصبحت وقد جهدت، ثم مكثت يومًا آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أُمَّاه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني، فكلي، وإن شئتِ فلا تأكلي، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله هذه الآية، وأمره بالبر بوالديه والإحسان إليهما، وعدم طاعتهما في الشرك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(٢).

٥- عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول وتبرُّؤه من أبيه رأس النفاق، وموالاته لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ:

عن جابر رضي الله عنه قال: كنا غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال: «**دعوها إنها منتنة**» فسمعها عبد الله بن أبي فقال: قد فَعلُوها، والله لئن

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٣٠).

(٢) «تفسير البغوي» (٥/ ١٨٨)، وانظر «أسباب النزول» للواحدي صـ[١٩٥] والحديث.

رجعنا إلى المدينة ليخرجَنّ الأعَزُّ منها الأذل، قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال ﷺ: «**دعه؛ لا يتحدث الناسُ أن محمدًا يقتل أصحابه**»(١).

قال محمد بن إسحاق: عن عاصم بن عمرو بن قتادة: أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلًا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد عَلِمَت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالديه مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «**بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**».

وذكر عكرمة وغيره: أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة، وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول على باب المدينة، واستلَّ سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراءك، فقال: مالك ويلك؟! قال: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، وكان يسير ساقة(٢).

فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأَذِن له رسول الله ﷺ، فقال: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فَجُزْ الآن(٣).

فانظر إلى عمق هذه المعاني الإيمانية في نفوس الصحابة الكرام، فكانوا لا يبالون بآبائهم وأمهاتهم إذا كانوا معاندين لشرع الله، محاربين لله ولرسوله ﷺ.

إنه الإيمان الصادق الذي جعل حبهم أولًا لله ﷻ، ولرسوله ﷺ، ونصرتهم لدين الله، والصحابة - كما أسلفنا غير مرة - سبقوا الأمة إلى كل خير،

(١) رواه البخاري (٨/ ٦٥٢) التفسير، ومسلم (١/) البر، واللفظ له.
(٢) أي يسوق أصحابه أمامه ﷺ.
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٥٩).

وتسابقوا في كل برٍّ، إنهم قادة البشرية إلى السعادة الأبدية بعد الأنبياء الكرام، فرضي الله عنهم، وأرضاهم وقد فعل ﷻ.

٦- سعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس وتبرؤه من حلفائه بني قريظة وموالاته لله - ﷻ - ولرسوله ﷺ:

كانت بنو قريظة قد غدروا، وخانوا العهد مع رسول الله ﷺ، وتمالأوا مع الأحزاب الكافرة شأن اليهود في كل زمان ومكان، كما قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ [البقرة: ١٠٠].

وهذه قصة سعد رضي الله عنه مع بني قريظة:

تقول عائشة رضي الله عنها ... ويرمي سعدًا رجلٌ من المشركين من قريش، يقال له: ابن العرقة بسهم له، فقال له: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحله[1] فدعا الله سعدٌ فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة فيخرجون من صياصيهم[2]، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمر بقبة من أدم فضربت على سعد في المسجد، قالت: فلبس رسول الله ﷺ لامته[3]، وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا، فخرج رسول الله ﷺ فمر على بني غنم -وهم جيران المسجد-، فقال: «من مَرَّ بكم؟» فقالوا: مَرَّ بنَا دحية الكلبي، وكان دحية تشبه لحيته ووجهه جبريل عليه السلام، قالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسة وعشرين ليلة، فلما اشتد حصارهم، واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف، قد حمل عليه، وحفَّ به قومه، وقالوا له: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية، ومن قد علمت،

---

(١) هو العرق الذي يغذي الذِّرَاع.

(٢) أي: حصونهم.

(٣) اللامة هي: آلة الحرب.

فلم يرجع إليهم شيئًا، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم، التفت إلى قومه فقال: قد أتي لي ألا يأخذني في الله لومة لائم.

قال أبو سعيد: فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم فأنزلوه**» قال عمر: سيدنا الله، قال: «أنزلوه» فأنزلوه، قال رسول الله ﷺ: «**أحكم فيهم**» قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله** - ﷻ - **وحكم رسوله** ﷺ»[1].

وقد طمعت بنو قريظة أن يشفع فيهم سعد بن معاذ؛ لأنه كان حليفًا لهم في الجاهلية، كما شفع عبد الله بن أبي بن سلول في بني قينقاع فوهبهم له رسول الله ﷺ، ولكنهم أخطأوا القياس، فعبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وولاء المنافقين للكفار، أما سعد بن معاذ فَهُوَ سَيِّد من سادات المؤمنين، اهتز عرش الرحمن لموته رضي الله عنه - قيل: فرحًا بقدوم روحه - فولاؤه لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، وهو سيد الأنصار كما قال النبي ﷺ في الحديث السابق: «**قوموا إلى سيدكم فأنزلوه**» فرضي الله عن الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان.

٧- كعب بن مالك رضي الله عنه وتبرؤه من ملك غسان، وولاؤه لله ﷻ ولرسوله ﷺ:

قد ذكرنا في المواقف الإيمانية في صدق التوبة قصته في تخلفه عن غزوة تبوك وصدقه رسول الله ﷺ، ونزول توبة الله - ﷻ - عليه وعلى صاحبيه، ولكننا نخص في هذا الموضع حادثة خاصة خلال هذه القصة، وهي إرسال ملك غسان إليه في فترة المقاطعة.

---

(١) قال الهيثمي: في الصحيح ببعضه رواه أحمد، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات، «مجمع الزوائد» (٦/ ١٣٧-١٣٨).

يقول كعب رضي الله عنه: «فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون إليه، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتابًا من ملك غَسَّان، فإذا فيه.

أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جَفَاكَ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فَالحَقْ بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضًا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها»[1].

قال محمد سعيد القحطاني: لقد صدق كعب رضي الله عنه في قوله: «وهذا أيضًا من البلاء»، أجل إنه بلاءٌ عظيم، ولقد كان ولاء كعب رضي الله عنه رغم ما هو فيه من شدة وهجر، ومع دواعي الإغراء والإغواء لله ولدينه ورسوله والمؤمنين، وكان براؤه من ملك غَسَّان واضحًا في حرقه لكتاب ذلك الملك، فانظر إلى هذه العظمة، وهذا الصدق في الولاء، والحب للإسلام والمسلمين، والبعد عن كل ما يصرف عن ذلك من متاع الدنيا ووجاهتها التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة[2].

وقال الحافظ رحمه الله: دل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولاسيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده ألا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب، ومنع الجواب، هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة، ولاسيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولاسيما والذي استدعاه قريبه ونسيبه، ومع ذلك فغلب عليه دينه، وقوي عنده يقينه، ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعي إليه من الراحة والنعيم، حُبًا في الله ورسوله، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»[3]، وعند ابن عائذ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «الولاء والبراء في الإسلام» [٣٨٤].

(٣) تقدم تخريجه.

أنه شكا حاله إلى رسول الله ﷺ، وقال: ما زال إعراضك عني حتى رغب فيَّ أهل الشرك[١].

٨- مصعب بن عمير رضي الله عنه وبراءته من أخيه أبي عزيز:

قال ابن إسحاق: وحدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار، أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال: «**استوصوا بالأسارى خيرًا**».

قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى، قال: فقال أبو عزيز: مَرّ بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شُدَّ يدك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، قال: وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، قال: فأستحي فأردها على أحدهم، فيردها عليَّ ما يمسها.

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال له أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي؟! فقال له مصعب: إنَّهُ أخي دونَك، فسألت أمه عن أغلى ما فُدِي به قرشي، فقيل لها: أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها[٢].

وقول مصعب رضي الله عنه لأبي اليسر: إنه أخي دونك؛ حَقٌّ وصدقٌ، فإن الأخوة الإيمانية مقدمة على أخوة الرحم، والعلاقة الدينية مقدمة على علاقة النسب، قال الله عز وجل لنوح عليه السلام في حق ابنه الكافر: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

ومما يدل على ذلك كذلك أن الرجل إذا مات وليس له إلا ابن كافر، فإنه لا يرثه، ويعود ماله إلى إخوانه المؤمنين، وهذا يدل على أن معاني الولاء والبراء كانت قوية عند الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٧٢٦).

(٢) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ٥٤) ط. مؤسسة المختار، والكليات الأزهرية.